اللغة

تُعد اللغة من الموضوعات التي شغلت تفكير العلماء، والمهتمين، والمختصين، حتى باتت علماً قائماً بذاته يتفرع إلى العديد من العلوم الفرعيّة التي حاولت تحليل اللغات والأصوات الإنسانيّة، وتتبع خط تطورها التاريخي والزمني، إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه في عصرنا الحالي.

وُضعت العديد من التعريفات لمفهوم اللغة، ولعلّ أبرز هذه التعريفات تعريف الجمعيّة الأميركيّة للنطق، واللغة، والسمع، التي تُعرف إذ عرفتها بأنها: (نظام معقد وديناميكي من الرموز المتفق عليها، يُستخدم في شتى أنواع التفكير والتواصل).

الخصائص العامة للغة

١.تملك اللغة القدرة على التعبير عن أفكار الإنسان المرتبطة بالمكان، والزمان؛ وهذا يساعد الإنسان على الحديث عما حدث في الماضي، وعما يحدث في الوقت الحالي، وعما قد يحدث مستقبلاً، فضلاً عن الحديث عن الأماكن، وربط الأمكنة، بالأزمنة.

٢.لا توجد علاقة بين الألفاظ، وما تدلُّ عليها سوى في بعض الحالات؛ كأصوات الحيوانات -على سبيل المثال-؛ فمثلاً كلمة فحيح في اللغة العربية تدل على صوت الأفعى، وهي كلمة مشتقة من الصوت الحقيقي للأفعى كما يسمعه العرب، وهذا المثال وغيره من الأمثلة هو من الحالات القليلة التي تمثل وجود علاقة بين الدال والمدلول.

٣.لا تعد اللغة مما يتم توريثه بالضرورة من جيل إلى جيل؛ كما في الصفات الجسديّة؛ فمثلاً لا تعني ولادة شخص ما لأبوين يتحدثان لغة معينة أن يرث هذا الشخص هذه اللغة.

٤.تملك القدرة على ابتكار، وإنتاج المفردات واللغات الجديدة من الأصوات، والقواعد المحدودة التي تتضمنها اللغات المختلفة.

علم اللغة علم اللغة أو علم اللغويّات

هو العلم الذي يبحث في موضوع اللغات الإنسانيّة، بحيث يصفها، ويدرسها، ويحللها، إذ يتميز هذا العلم باتصاله الوثيق بالعديد من العلوم والجوانب الإنسانيّة الأخرى؛ كعلم الاجتماع، والأنثروبولجيا، والنفس، والتربية، والحاسوب وما إلى ذلك.

أما في الوقت الحاضر فيعرف بأنه الدراسة العلمية للغة البشرية دراسة موضوعية بعيدة عن النزعة التعليمية المعيارية والتاريخية.

فروع علم اللغة

١.**اللغويات العامة:** تهتم اللغويات العامة بعرض وإنتاج المفاهيم المختلفة التي تساعد على دراسة وفهم اللُّغات المختلفة.

٢.**اللغويات الوصفيّة:** تهتم اللغويات الوصفيّة بدراسة كلّ ما تقدمه اللغويات العامة من مفاهيم، وأفكار، ونظريات، بحيث تؤيدها، وتثبتها، أو تنفيها، وتفندها، وذلك بالاعتماد على المنهجيّة العلميّة لذلك.

٣.**اللغويات التاريخيّة:** يُعنى هذا الفرع بدراسة تطور اللغات عبر التاريخ الإنساني، وبالتعرف على التغيرات المتعددة التي طرأت على هذه اللغات، كما يهتم هذا الفرع بدراسة أصول اللغات، وتحديد اللغات ذات الأصل المشترك.

نشأة علم اللغة العام

إن نشأة أي علم من العلوم الإنسانية هي النظر في موضوعات وأصول قديمة بمناهج حديثة. واللغة واقع ملازم للإنسان، فقد أعطاها نصيبه من البحث منذ القديم وخص لها علم خاص بها. أسماه علم اللغة وقد أصبح اليوم مثله مثل فروع العلوم والمعرفة الإنسانية، عبارة عن نتاج لماضيه ومادة لمستقبله، والإشكال الذي يطرح نفسه هو: كيف نشأ علم اللغة؟ وما المناهج التي اتخذها هذا العلم في التعامل مع اللغة؟ وهل هذه المناهج باستطاعتها التعامل مع الواقع اللغوي؟

كانت الدراسات اللغوية القديمة جزءاً لا يتجزأ من التفكير الفلسفي القديم. فقبل ظهور علم اللغة كانت هناك فلسفة اللغة التي هي: "بحث في ما قبل اللغة، أو هي بحث عن أولها ونشأتها وعلاقتها الصحيحة بالإنسان والوجود بجميع ما فيه من موجودات ودورها

الاجتماعي، والعلمي، والحضاري، ومحاولة توضيح كل ذلك وتفسيره". هذه الدراسات اللغوية القديمة تختلط إلى حد كبير جداً بالنظريات المنطقية والميتافيزيقية.

إذ كان أفلاطون أول الفلاسفة القدماء الذين قدموا أعمالاً متخصصة في مجال فلسفة اللغة، وكان عمله له خصائص الأسلوب والمنهج الأفلاطوني وهي المزج بين الأدب والفلسفة والعلم في أوان واحد.

وهناك جانب آخر ارتبط بالدراسات اللغوية هو الجانب الديني. إذ تطلع الناس إلى معرفة لغة الطقوس الدينية. وهكذا وصفت اللغة السنسكريتية تفصيلاً على سبيل المثال في ماضي العقيدة الهندوسية من أجل فهم كتابهم المقدس الفيدا. ونجد اليهود درسوا العبرية من كتابهم المقدس، وأنشأ العرب مراكز لغوية تهدف إلى تمكين الإسلام قراءة صحيحة للذكر الحكيم.

هذا في العصور الغابرة، أما في العصر الحديث فقد أشرقت شمس النهضة الأوروبية على ميدان البحوث اللغوية ولا سيما الجانب الصوتي. وترجع بداية علم اللغة الحديث بوصفه علماً حديثاً الى القرن ١٩م، إذ شهد ثلاثة منعطفات كبرى في مسيرتها المعرفية والمنهجية:

١ـ اكتشاف اللغة السنسكريتية على يد ويليام جونز .

٢ـ ظهور القواعد المقارنة على يد "فرانس بوب واسموس راسك".

٣ـ نشوء اللسانيات التاريخية.

مراحل تطوره

إن علم اللغة الذي نشأ من دراسة الحقائق اللغوية مر بثلاث مراحل لغوية، قبل أن يحدد هذا العلم هدفه الحقيقي الخاص به:

١.مرحلة النحو: نشأت مع اليونان وظلت الدراسات اللغوية خاضعة بنحو كبير إلى المنطق الأرسطي، وسادت هذه النزعة في الدرس اللغوي الأوروبي منذ عهد الإغريق، اذ عد كثير من مؤرخي الدراسات اللغوية (أرسطو ٣٢٢ق.م) المؤسس الحقيقي للنحو الأوروبي لما وضعه من قواعد وأسس ضبط بها النحو الإغريقي، إذ صنف الأشكال النحوية على وفق ما تشير إليه مقولاته العشر (الكم والكيف والزمان والمكان...).

وظلت هذه الفكرة سائدة بين دارسي اللغة وعلمائها الذين "يرون أن النماذج النحوية ينبغي عليها أن تتطابق بقدر المستطاع مع متطلبات المنطق، ولما كان المنطق منطقاً واحداً وجامعاً ومشتركاً بين البشر، كان من الممكن بناء نظرية نحوية جامعة تناسب كل اللغات في العالم".

اقتصرت هذه المرحلة على علم المنطق، وهي تفتقر إلى النظرة العلمية ولا ترتبط باللغة نفسها وليس من هدف لها سوى وضع القواعد التي تميز الصواب من الخطأ في الدراسة المعيارية.

٢.مرحلة الفيلولوجيا: مع بداية القرن الثامن عشر اتجهت الدراسات اللغوية نحو الاهتمام بدراسة النصوص من آثار اللغتين اللاتينية واليونانية، وعرف هذا النوع من الدراسات بالدراسات الفيلولوجية، على الحركة التي بدأها فريدريك أوكست ولف ١٧٧٧م الذي اهتم بتصحيح النصوص المكتوبة وشرحها والتعليق عليها. وكان الهدف من وراء هذه الدراسات هو معرفة البيئة الفكرية والاجتماعية والحضارية للغات الأخرى".

نلاحظ أن هذه الدراسات اعتمدت على اللغة المكتوبة وانحصر اهتمامها على اللغة اللاتينية القديمة، وانحصار اهتمامه في اللغة الإغريقية واللاتينية.

٣.مرحلة فقه اللغة المقارن: استمرت الدراسات اللغوية المقارنة بعد جونز، وسار كثير من العلماء على هذا النهج في دراسة مجاميع أخرى من اللغات، وتوسع البحث ليشمل الصفات المشتركة للأصوات بين هذه اللغات. فقد نشر بوب ١٨١٦م "في نظام السنسكريتية" إذ قارن بين الصيغ اللاتينية والإغريقية والسنسكريتية. بعد هذا سرعان ما ظهر علماء لغويون بارزون أضافوا إلى ما أسهم به بوب مثل: جاكوب كريم ثم كوهن. ولعل من فضائل هذا الجهد الكبير الذي قام به علماء الدراسات اللغوية المقارنة أنهم "أضافوا معلومة تفصيلية عن لغات هندية وأوروبية مختلفة، وكانوا من أوائل الباحثين اللسانيين الذين صرفوا اهتماماً خاصاً لصوغ نظرية لسانية عامة تتسم بالإحكام".

وفي القرن التاسع عشر ظهرت أيضا اتجاهات أخرى في الدرس اللغوي الأوروبي، فبعد أن قدم (داروين) نظريته في أصل الأنواع وتطورها في منتصف القرن، أحدثت هذه النظرية تأثيراً كبيراً في معاصريه، ومن بين من أثرت فيهم عالم اللغة الألماني (أوجست شلاير ت ١٨٦٨م)، وهو واحد من أبرز علماء الدراسات اللغوية المقارنة، وكان من المهتمين بالقضايا المرتبطة بإعادة بناء اللغة الهندو- أوروبية الأم، فكانت فكرته التي بنى منهجه عليها "أن اللغة كانت كائناً مستقلاً بذاته عن الإنسان، وان اتجاه تطورها

محدد بقوانين بيولوجية عامة للتطور، فاللغة تولد وتعيش لفترة محدودة ثم تهب الحياة للغة أخرى أحدث منها لتحل محلها بعد زمن ثم تواصل بدورها الحياة في صورة أحد الفروع المتولدة منها، وهكذا تكون اللغة ذات (شجرة سلالية)... مثل الإنسان".

وفي هذا القرن أيضا برز عالم لغوي ألماني آخر يدعى (همبولدت ت ١٨٣٥م) ، نحا بالدرس اللغوي المقارن منحى جديداً، إذ وجه اهتمامه نحو إبراز المادة اللغوية التي تنتمي إلى حقبة زمنية، أي ملاحظة اللغة في مظهرها الآني (السانكروني) بطريقة تحليلية من دون الدخول في قضية القرابة السلالية.

كما عارض تأسيس نحو جامع على وفق قوالب تقليدية، ورأى أن تطلب هذه القواعد بالاستنباط من الحقائق اللغوية لكل لغة على حدة، ورأى أيضاً أن اللغة ظاهرة متحولة وليست ثابتة، وان مظهرها الثابت ظاهري فحسب.

كما أولى اهتماماً خاصاً بارتباط اللغة بالفكر، فالنشاط الذهني يجاهد بالضرورة لكي يتوحد بظاهرة الكلام، ومن دون هذا الاتجاه لا يمكن لعالم الصور أن ينفد إلى عالم الأفكار، ومعنى هذا انعدام التفكير السليم.

وتعود جذور علم اللغة الصحيح الذي يضع الدراسات المقارنة في موضعها المناسب إلى دراسة اللغات الرومانسية (الفرنسية، والإيطالية، والاسبانية، والبرتغالية، والرومانية) واللغات الجرمانية. التي بدأها دياز DIEZ بكتابه "قواعد اللغات الرومانسية" سنة ١٨٣٢م ـ و ويتني WHITNEY في كتابه "حياة اللغة ونموها" ١٨٧٥م وبعد هذا التاريخ قام النحويون الجدد بتأسيس مدرستهم نذكر منهم بروكمان BRUGMANN ـ واج OSTHOFF H- وبرون BRAOUNE، وقد ساعدت هذه الدراسات على اقتراب علم اللغة من هدفه الحقيقي المنشود.